عدد خاص يصدر عن صحيفة
14 أكتوبر
بمناسبة أعياد الثورة اليمنية الخالدة

دور مدينة عدن في مسيرة الكفاح المسلح وحسم المواجهة مع الاستعمار

باشر الاستعمار البريطاني منذ أن وطئت أقدامه أراضي الجنوب اليمني حكم المنطقة حكماً استعمارياً مباشراً واستخدم كل ما لديه من خبرات ودهاء في تمزيق المنطقة الواحدة إلى عديد من السلطنات والإمارات والمشيخات وأقام بينها الفواصل والحدود وعمق النعرات المحلية والقبلية حتى يسود حاكماً ومسيطراً لمئات السنين. واستمر الاستعمار البريطاني رابضاً في مدينة عدن يحكم كل المنطقة الجنوبية بالحديد والنار، ممتهناً كرامة المواطن وسلب حريته وقيمه الإنسانية.

راشد محمد ثابت

وفي ظل الحكم الاستعماري الجائر على الشعب في الجنوب كانت مدينة عدن تعيش واقعاً يختلف عن بقية أراضي الجنوب الأخرى، باعتبارها بوابة النشاط التجاري ومركزاً مهماً من مراكز التجارة العالمية.. وبقي هذا النشاط قائماً على الاستغلال والاحتكار بواسطة الشركات الاحتكارية البريطانية والأجنبية، وفئة من التجار الأجانب والمحليين من السلاطين والعملاء. وما عدا ذلك فقد مارس الاستعمار، ضد السواد الأعظم من الشعب سياسة التجهيل والتجويع والإهمال.. فلا مدارس ولا مستشفيات ولا طرق إلا ما ندر، خدمة للوجود البريطاني والجاليات الأجنبية الأخرى. وعندما بدأ الشعب يطالب ويناضل لاسترداد حريته المسلوبة وحقوقه المهضومة وكرامته المداسة في النصف الثاني من الخمسينات حاول في عام 1963م أن يضم عدن إلى ما يسمى بالاتحاد الفيدرالي بصيغة قسرية ومذلة وباشر بعدها بسن القوانين التعسفية التي حرمت على شعبنا حقه في التعبير عن آرائه ومعتقداته وحقه في الاجتماع والإضراب والتظاهر.

وإزاء هذه الأوضاع السياسية والاجتماعية المتردية.. وبعد أن قيمت الجبهة القومية التجارب المتعددة التي مرت بها الحركة الوطنية في الجنوب .. والأحداث النضالية العسكرية المتتالية التي شهدتها المنطقة، قررت فتح الجبهة العسكرية في مدينة عدن في الثاني عشر من يناير عام 1964م.. وشكل هذا التاريخ البداية لسلسلة من الأعمال العسكرية الفدائية التي غطت كل شارع ومساحة وزقاق من المدينة الباسلة.

وكانت الجبهة القومية تدرك، وهي تباشر النضال المسلح ضد الاستعمار البريطاني في مدينة عدن، أن هذا النضال يجب أن ينطلق من محيط اجتماعي مسلح بقدرات فكرية ووعي سياسي، يرتبط، بحركة منظمة تخوض المعارك العسكرية بمهارة وإتقان دون توقف أو انقطاع أو تراجع عن تحقيق الأهداف.

ومن واقع هذا الإدراك كان لابد أن تعد إعداداً جيداً للعمليات العسكرية داخل المدينة الصغيرة المحاصرة، وذلك لكي تتعزز ثقة الشعب بالنضال المسلح ضد الاستعمار بعد أن فشلت العديد من المحاولات والانتفاضات بسبب عفويتها وانكفائها داخل المناطق الريفية التي كانت قابعة تحت ركام الأمية وتدني الوعي السياسي والثقافي في المنطقة.

لذلك كانت الجبهة القومية قد اختطت طريق الإعداد لمشوار نضالي طويل من حيث الاهتمام بجانب التربية الفكرية للأعضاء الذين سينضمون الى القطاع الفدائي وتقوية الانضباط التنظيمي لديهم وتنمية روح العمل الجماعي وشحذ الروح الكفاحية والتفاني في خدمة قضايا الشعب والوطن، وتجسيد سلوك نضالي يتحلى بالأخلاق الحميدة وقيم النزاهة والاستقامة والعفة، وأن يمثل القدوة الحسنة في سلوكه اليومي بين الناس وفي مواقع العمل والنضال.

من كل ذلك حددت الجبهة القومية الأهمية الإستراتيجية التي تمثلها مدينة عدن في جانب تصعيد النضال الوطني واستمراره، وفي جانب إبراز الكفاح الوطني على الصعيد الخارجي وطرح القضية بكل وضوح وجلاء أمام الرأي العام العربي والدولي وداخل كل المحافل الدولية والمنظمات والمؤتمرات العالمية المناهضة للاستعمار وقواعده العسكرية، إضافة إلى ما يرتبط بهذا الإدراك من تأكيد على أن العمل النضالي المسلح الذي يخوضه الأبطال في بطون وقمم الجبال بالأرياف لا يمكن أن يكون له وقع الهزيمة على الاستعمار وأعوانه ما لم يرافقه عمل فدائي واسع داخل مدينة عدن وعلى مقربة من دار المندوب السامي ومواقع الإصدار للصحف والمؤسسات الإعلامية وغيرها من الدوائر السياسية الموالية في المدينة.

وعزز هذا الإدراك الانتقال السريع لقضية شعبنا في الجنوب إلى المحافل العربية والدولية.. والتحرك السياسي الكبير الذي شهدته مدينة عدن بعد قيام الثورة في الشمال.. هذا التحرك الذي أجبر الاستعمار على إدخال بعض التغييرات على أساليب الحكم في عدن والمحميات، وإضفاء طابع المرونة في التعاطي مع المؤسسات النقابية والمنظمات السياسية الوطنية التي كانت تعاني من التعسف والاضطهاد والملاحقات وجور الأحكام.

وتأسيساً على ذلك فكرت الجبهة القومية ببدء العمل العسكري في مدينة عدن، وهي تدرك أن القيام بعمل فدائي عسكري ناجح في هذه المدينة يتطلب بالضرورة ان تتولى مسؤولية التخطيط والتنفيذ لمثل هذا العمل قيادة واعية وعلى قدر كبير من الكفاءة الفكرية والإحاطة بالتجارب المشابهة في العديد من البلدان التي خاضت نضالاً تحررياً ضد الاستعمار وأعوانه.. الى جانب الإلمام التام والدقيق بالتضاريس والتقسيمات الجغرافية المكونة للمدينة.. ورسم خارطة تفصيلية تحدد المواقع السكنية للقوات البريطانية وسكن الموظفين المدنيين من الجنس البريطاني والجنسيات الأجنبية الأخرى، وتحديد حجم المساحات التي تحتلها مواقع سكن القوات البريطانية والجاليات الأجنبية التي تدخل وتتداخل في المساحات السكانية التي قطنها أبناء البلد في طول وعرض مدينة عدن.

ومن الضروري هنا الإشارة إلى أن العمل الفدائي في مدينة عدن قد أتى استكمالاً لشكل النضال المسلح الذي بدأ في ردفان والمناطق الريفية الأخرى، كأسلوب من أساليب النضال ضد الاستعمار البريطاني وعملائه المحليين من حكام ومستوزرين وسلاطين، إذ من المعروف على نطاق جنوب الوطن حينها، أن الاستعمار البريطاني قد حاول أن يثبت وجوده بالاعتماد على مجموعة من المستفيدين من الاحتلال الذين حقق لهم الوجود الاستعماري فرص جمع المال والعيش في دائرة الرخاء المصطنع.. بينما ظل السواد الأعظم من الشعب في الجنوب يعيش تحت وطأة الجهل والفقر والمرض، دون أن تطال حياته أية تغيرات إيجابية تذكر.

ولأن الاحتلال قد اصطنع فئة رخيصة من الناس ليحكم بها وعن طريقها البلاد، فقد سمحت سلطات الاحتلال لهؤلاء الناس ان يحتكروا مواقع إدارة المجتمع بفرض الضرائب وجبايتها لحسابهم.. وأن يتملكوا لوحدهم مساحات من الأراضي الزراعية واحتكار التجارة من المدينة إلى الأرياف وفرض الاستغلال على قطاعات واسعة من الشعب.

وهكذا فالذي كان عاماً وشاملاً خارج هذه الفئة هو الفقر والشعور بالمهانة والظلم والضياع.. وهذا الواقع القاسي والبائس الذي كانت تعيشه أغلبية الناس من الشعب في جنوب الوطن حينها قد ولد الاحساس بالمحنة التي تعيشها أراضي الجنوب جراء الاحتلال الاستعماري، ولم تستطع القوى السياسية التي كانت موجودة في الساحة قبل ظهور الجبهة القومية أن تتحسس حقيقة المشاعر الثورية التي كانت كامنة في أعماق الجماهير المتحفزة والقابلة للانفجار.. بل كان من الطبيعي ان تتحرك الجبهة للعمل في ميدان الجماهير واستيعاب طموحها المتأجج بالعداء ضد الاستعمار وعملائه.. وضد أشكال التعسف والامتهان التي كانت تمارسها قوى الاستعمار بحق الشعب والوطن.

والواقع الذي كرسه الانجليز منذ أن حكموا البلاد يقوم على أساس أن أراضي الجنوب